المحاضرة الثامنة: الجملة الوصفية في النحو العربي

بعد الحديث عن معايير تصنيف الجملة العربية في النحو العربي تحسن الإشارة إلى بعض أنماطها مع ذكر أمثلة توضيحية، قصد الوقوف عند بعض المسائل النحوية لبيان خصائص تأليف الكلام العربي.

1- الجملة الوصفية: المفهوم

المراد بالوصف أو الصفة عند النحاة القدامى البنية المفردة أو المركبة الدالة على معنى لتشمل الوصف بأنواعه المفرد، والجملة(اسمية/فعلية) وشبه الجملة.

والوصف يقتضي موصوفا، وهما بمثابة شيئين متلازمين يكملان بعضهما بعضا على مستوى التركيب والمعنى. والموصوف بالصفة يكون مقيدا بها. والأصل أن الصفة في المعنى هي الموصوف.

والصفة التي تعنينا في هذا السياق هي، الواقعة جملة، أي أن الجملة الوصفية فيها جزآن من حيث الوظيفة النحوية: الوصفية، التي لا تأتي إلا بوجود الموصوف والصفة.

والأصل في الجمل أنها نكرات، ولولا أنها نكرات لم يكن للمخاطب فيها فائدة، لأن ما يعرف لا يستفاد. يقول سيبويه:" الموصوف بالنكرة لا يكون إلا نكرة." وتابعه النحاة أن الجمل نكرات فتوصف كل واحدة منها الأسماء نكرات.

وعليه، قرر النحاة أن الجمل بعد النكرات المحضة صفات، وبعد المعارف المحضة أحوال.

ملحوظة : هناك فرق بين مصطلحي "**الوصف**" و"**الصفة**"، فالصفة (=النعت) وهي ترد لفظة مفردة أو جملة أو شبه جملة. أما الوصف فيرد لفظة مفردة فقط، وهو يعني المسند في الجملة العربية. الذي يرد وصفا(اسما مشتقا) عاملا مكونا من صفتي الفاعل والمفعول، أو التفضيل، أو المبالغة والصفة المشبهة. ومن فاعله ومفعوله إذا كان متعديا. وهذا النوع من الجمل أضافه تمام حسان إلى تراكيب اللغة العربية في ضوء الدرس اللساني الحديث، بالنظر في المستوى التركيبي للغة العربية. وهذا النوع من الجمل (الوصفية) نسبة إلى اشتمالهاعلى الصفة أحد أقسام الكلم العربي.

وعلى رأي تمام حسان، أن الصفات(المشتقات) التي تمثل قسما قائما بذاته في أقسام الكلم العربي ومميزاتها يمكن القبول بأن تكون كل صفة منها جملة وصفية يكون المسند فيها وصفا كاملا فهي تمثل إسناد وصفيا (جملة وصفية) تتألف من الوصف ومرفوعه، نحو:

1- أناجح الزيدان؟ أناجح الزيدون؟

مبتدأ فاعل سد مسد الخبر مبتدأ مبتدأ فاعل سد مسد الخبر

2-" ما ذاهب أنت؟"

يجوز اعتبار الاسم الوصف (ذاهب) مبتدأ و (أنت) فاعل سد مسد الخبر، ويجوز كذلك اعتبار الوصف(ذاهب) خبر مقدم، واسم المرفوع (انت) مبتدأ مؤخر.

*الوصف عند النحاة هو ما دل على معنى محدد ودل على صاحبه، والاسم الوصف يشتمل الأسماء المشتقة(اسم الفاعل، المفعول، والصفة المشبهة، باسم الفاعل(مثل حسن)، وصفة المبالغة مثل(سميع) واسم التفضيل مثل (أحسن) في الحقيقة "الصفة" عند النحاة هي خبر عن الموصوف ، وزيادة اخبار فيجوز في وصف الموصوف ان يوصف بأوصاف كثيرة ومختلفة ، وكما جاز الاختبار عن شيء واحد بأخبار كثيرة جاز الحكم علي شيء واحد بأحكام مختلفة ، لان كل من جملة الصفة وجملة الخبر حكم واشراك حكم في تعدد الصفات لاختلاف معانيها ، وجاز تعدد الاخبار قياسا علي تعدد الاحكام ، لان كل من جملة الصفة وجملة الخبر حكم واشراك حكم في تعددهما.

1_ مفهوم الجملة الوصفية عند النحاة:

الجملة الوصفية هي التي تفيد الوصف او الإخبار عن الواقع ، أو وصف الوقائع . وبعبارة أخرى إفادة حكم للمخاطب ، وهويحتمل الصدق والكذب من حيث المطابقة أو عدم المطابقة للخارج (الواقع).

2_ أنواع الجملة الوصفية عند النحاة:

حصر النحاة القدامى أنواع الجملة الوصفية في هذه مايلي :

أ_ الجملة الاسمية بأقسامها:المثبتة والمنفية والمنسوخة .

ب_ الجملة الفعلية بقسميها : المثبتة والمنفية .

أما "ا لتأكيد " فهو قاسم مشترك بين الجملتين الاسمية والفعلية من جهة ، وهو لا يتأتىإلا مع الإثبات والنفي ، أي إننا نؤكد المعني المثبت كما نؤكد المعني المنفي ، من جهة اخرى .

ج_ الجملة الشرطية .

د_شبه الجملة الاسمية بقسميها : الظرفية والجار والمجرور .

هـ _ الجملة الخبرية الوصفية تشمل كل هذه الاقسام : الجملة الاسمية والجملة الفعلية ، والجملة الشرطية ، وشبه الجملة وجميعها يقع صفات للأسماء النكرات ، وفقا القاعدة النحوية " الجمل بعد النكرات صفات ، وبعد المعارف أحوال "

***الجملة الوصفية الخبرية : اسمية** ،تتألف من مبتدأ وخبر صفة للنكرة ، وهي مثبتةاو منفية بأدوات النفي (ليس ، لا النافية للجنس) او منسوخة ب "كان" وأخواتها ، "وإن" وأخوتها .وهي تقع _ الجملة الخبرية الاسمية _ صفة للاسم النكرة فهي عبارة عن جزأي الكلام (الموصوف الاسم النكرة) والصفة لذلك اقتضت إلى وجود رابط بينهما .وقد ذكر هذا الجرجاني في الجملة الاسمية ، في قوله (اعلم أن الجمل نكرات كلها فتوصف بكل واحدة منها الأسماء النكرات ، وهي أربع :

فالأول : الجملة من المبتدأ وخبر، "نحو مررت برجل ابوه خارج " "فأبوه خارج " في موضوع جر لأنها صفة "رجل".

فهذه جملة اسمية مشتبه .وأضاف مثالا عن الجملة الاسمية المنفية كما في قول الشاعر :

وبعض خلائق الأقوام داء كداء الكشح ليس له دواء

موصوف جملة إسمية منفية

هذه جملة اسمية منفية "ب" "ليس" .والجملة الاسمية المنفية ب "لا " النافية للجنس كقول الشاعر :

لاتزجروا مكفهرا لا كفاء له كالليل يخلط إصراما بأصرام

موصوف صفة

ومن شروطها " يجب أن يكون فيها ما يعود على الموصوف ،فلو قلت : "مررت برجـــل عمـــــرو خـارج " لم يجز،

موصوف جملة أجنبية ليست صفة

لأن الجملة أجنبية من الموصوف".

ففي قوله تعالي ﴿يا أيها الذين آمنو قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليهاملائكة غلاظ شداد 6﴾[التحريم]

جملة خبرية اسمية مثبتة، صفة (نارا): موصوف (اسم نكرة منصوب)، الرابط (الهاء) ، موضعها النصب ، وعليها خبر مقدم ، وملائكة مبتدأ مؤخر، صفة ثابتة للموصوف (نارا) وحكمها النصب .

***الجملة الوصفية الخبرية :فعلية**

تقع الجملة الخبرية الفعلية صفة، ويوصف بها الاسم الموصوف النكرة.وقد أشار سيبويهإلى الجملة الفعلية الواقعة صفة في قوله: « واذا كان الفعل في موضع الصفة فهو كذلك ،وذلك قولك: " أزيد أنت رجل تضربه "ولكل يوم ثوب تلبسه.

موصوف صفةموصوفصفة

فإذا كان وصفا فأحسنه أن يكون فيه الهاء لأنه ليس في موضع ما يكون من الاسم.»

فالجملتان الاسمية والفعلية خبريتان وصف بهما الاسم النكرة ،ويقتضي في كل منهما ثبوت الأمر المخبر به، وتشتملان على الضمير الرابط الذي يربط الموصوف بجملة الصفة _ لتكون الجملة جزءا من الكلام _فالموصوف والصفة هما جزآ الكلام.

إن الوصف بالجملة الفعلية يقتضي ثبوت الأمر المخبر به مع ربطه بالزمن ، واما الوصف بالجملة الاسمية يقتضي ثبوت الامر المخبر به دون ربطه بالزمن، لقول الجرجاني : «الفعل يقتضي مزاولة وتجدد الصفة في الوقت ، ويقتضي الاسم ثبوت الصفة وحصولها من غير أن يكونهناك مزاولة وتزجية فعل أو معنى يحدث شيئا فشيئا.»

ومعنى هذا، ان الجملة الفعلية تتضمن الزمن ، والجملة الاسمية تخلو منه .

***الجملة الفعلية المثبتة** ، نحو قول حسان بن ثابت:

قـــــوم لئـــــــام أقــل الله خـيرهم كما تتناثر خلف الراكب البعر.

موصوف صفة 1 جملة فعلية مثبتة– صفة 2

***الجملة الفعلية المنفية** ، نحو قول عنترة بن شداد

أعاتب دهــرا لا يلـــين لعـــاتـــب واطلب أمنا من صروف النوائب.

موصوف صفة موضعها النصف

***الجملة الوصفية : شرطية**

الجملة الشرطية تتألف من جملتين : شرط ، و جزاء . والرابط بينهما علاقة مصاحبة ،فهي جملة واحدة. يقول الجرجاني:« إن الشرط والجزاء جملتان وجب تصاحبهما فجرتا مجري الجملة الواحدة ، فقولك: "إن تكرمه "بمنزلة "اخوك " وقولك:"يكرمك" بمنزلة "منطلق" فهما في احتياج أحدهما إلى صاحبه وامتناعه في أن يستقل بنفسه».

ومما وقعت فيه الجملة الشرطية صفة قول الشاعر :

قـــــوم إذا ركبوا سمعت لهم لغطا من التأبيه والزجر

موصوف جملة شرطية "اذا" وقعت صفة موضعها الرفع

فمن تآلف جملتي الشرط والجزاء باستناد ومصاحبة حصلت الفائدة ،وتم الكلام ،وبها حصل الوصف مثلها مثل الاسمية والفعلية.

***الجملة الوصفية : شبه الجملة**

شبه الجملة تركيب نحوي مشابه للجملة لأنه مؤلف من كلمتين، ومشابه للمفرد لأن معناه لا يظهر لامع متعلقة ،لذا اشترط فيه أن يكون تاما. والمقصود بالتام، أن يفهم عند ذكره متعلقة المحذوف، أما عند انفراده فلا يدل على معنى ما لم يكن المتحدث عنه معروفا للمخاطب. فالظرف والجار والمجرور لابد لهما من متعلق يعين على إتمام المعنى.

وتقع شبه الجملة صفة للنكرة أو حكمها مع الصفة كحكمها مع الخبر، قال ابن يعيش :« إن الظرف إذا وقع صفة كان شبه الجملة صفة فلا بد لها من عائد يربطها بالموصوف كما لو وقعت خبرا.»

وقد ذهب جمهور النحاة إلى أن الخبر _شبه الجملة_ نائب مناب المتعلق المحذوف الذي كان الخبر في الأصل لكنه حذف، فصار الظرف هو الخبر، وناب مناب المحذوف وانتقل الضمير الذي في المتعلق إليه فاحتمله وضمه وصار يرتفع به ، كما كان يرفع باسم الفاعل أو الفعل مثلا ،" زيد خلفك" بمنزلة " زيد أخوك" فكان (خلف) في موضع الخبر، فيرتفع بالأول لأنه قد عمل فيه ،وبه استغنى الكلام ."

شبه الجملة خبر، فكرة وجود المتعلق المحذوف من نظرة النحاة إلى وجوب التوافق بين المبتدأ والخبر، فمن قدر المتعلق المحذوف اسما فعنده الأصل في الخبر الإفراد، ومن قدر الفعل فعنده هو الأصل في العمل. الخلاف في تقدير **المتعلق** . و**التعليق** فيه هو ارتباط معنوي في توصيل المعني المطلوب وإنما يشبه الجملة، وإن لم يكن الظرف أو الجار والمجرور متعلقا سمي حشوا أو لغوا، وذلك لخلوه من الضمير في المتعلق ولإمكان حذفه من الكلام لأنه فضلة . و لأن شبه الجملة ليست مستقلة بنفسها لتخبر أو توصف بها إلا إذا اعتمدت على متعلق معروف للمخاطب يعين علي إتمام المعنى.ويشرط في شبه الجملة إذا وقعت صفة أن تكون خبرية، وذلك لأن في الجملة الخبرية التي وقعت صفة حكما وإثباتا معنى للموصوف، والغرض من الصفة تمييز الموصوف للمخاطب، ولا يميزه إلا معلوم له .ويشترط في الموصوف أن يكون نكرة لأن النكرة إذا جاء بعدها ظرف أو جار ومجرور ينبغي أن يحملا على الصفة، لأن النكرة لإبهامها محتاجة إلى الصفة ليحصل بها التخصيص.

ومن أمثله ذلك، قوله تعالى: ﴿فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود(87)﴾[هود]

موصوف صفة جار ومجرور، موضعها النصب.

ومن قول الشاعر:

وتقصير يوم الدجن، والدجن معجب ببهكنة تحت أطراف المعمّد

موصوف ظرف مكان، صفة محلها الجر

وصفت شبه الجمة الاسم النكرة المحتاج إليها لتخصيصه وتبيينه.

هذا، ويمكن الإشارة إلى أنواع أخرى من الجمل تنضوي تحت الجملة الوصفية الخبرية. مثل الجملة الحالية التي تأتي بعد المعرفة،ومحلها النصب ، وتفيد وصف صاحب الحال وبيان حاله مثل الصفة. لذا فهي خبرية مثلها مثل الجملة الصفة كونها تفيد وصف الاسم، والأصل في الحال هو الصفة لأنه خبر في المعنى، وحقيقة الحال أنها الهيئة التي يكون عليها الشيء عند ملابسة الفعل واقعا منه أو واقعا عليه ، مثلا: "جاء جابر راكبا "، الركوب هيئة جابر عند وقوع المجي منه. وقولك:"ضربت زيدا قائما" القيام هيئة له عند وقوع الضرب عليه. فاشتركت الصفة والحال في الجملة الخبرية، فالحال هي خبرعن صاحبها في معنى.

ملحوظة؛ الإخبار بجملة الصفة ليس بجزء من جملة، ولكنها زيادة في الإخبارتفيد التخصيص والتوضيح. والإخبار في الجملة الاسمية خبر المبتدأ هو في الحقيقة جزء من الجملة الذي لا تتم الفائدة إلا به، والفرق بين جملة الصفة وجملة الخبر هو أن الموصوف لا يستلزم الصفقة صناعة فضعف طلبه فاحتيج إلى دليل قوي يدل على ارتباط الجملة به وإنها صفة له. بخلاف المبتدأ فإنه يستلزم الخبر فقوي طله له فاكتفى بأي دليل يدل علي ارتباط الجملة به وأنها خبر عنه".

***جملة الصلة:** هي موضحة لاسم الموصول . فلا يصح معنى الموصول إلا بصلته. فلا تكون جملة الصلة إلا جملة خبرية، فالموصول مع صلته كالاسم الواحد، والاسم الواحد لا يدل على الأمر والنهي والاستفهام . فوصلوه بالجملة الخبرية لتكون صفة المعرفة معرفة في الجملة الموصولة، وصفة النكرة نكرة في الجملة الموصوفة. يقول ابن السراج: « ولا يجوز أن تصل (الذي)إلا بما يوضحه و يبينه من الأخبار، فأما الاستخبار فلا يجوز أن يوصل به (الذي و أخواتها). لا يجوز أن نقول: "الذي أأريد أبوه قائم ؟ " كذلك النداء والأمر والنهي.» و من ثم ، فجملة الصلة معرفة لتناسب الاسم المعرفة (الموصول) التي تصله.

وحاصل الكلام؛ فجملة الحال وجملة الصلة هما من أنواع الجملة الوصفية والخبرية، وكلتاهما تصف الاسم المعرفة لذا فهما معرفة، لأن صفة المعرفة معرفة.

وخلاصة القول: فالجملة الخبرية هي قسيم الجملة الإنشائية تفيد وصف الوقائع، وتحتكم في الوصف والإخبار إلى إثبات حكم قيمي مرتبط بالواقع، وهو يتمثل في قيمتي الصدق والكذب.و من ثم ، يمتنع أن تكون الجملة الوصفية إنشائية لأن الجملة الإنشائية هي طلب واستعلام .

2- معاني الكلام عند الباحثين العرب المحدثين :

ومن الباحثين العرب المحدثين الذين نظروا في هذه المسألة, نجد :

تمام حسان في كتابه: "اللغة العربية" الذي تناول فيه هذه المسألة بِاستفاضة، فقسم الجملة العربية الى قسمين رئيسين هما: {"الخبر" و "الانشاء"} موضحا ذلك من خلال هذه الخطاطة:

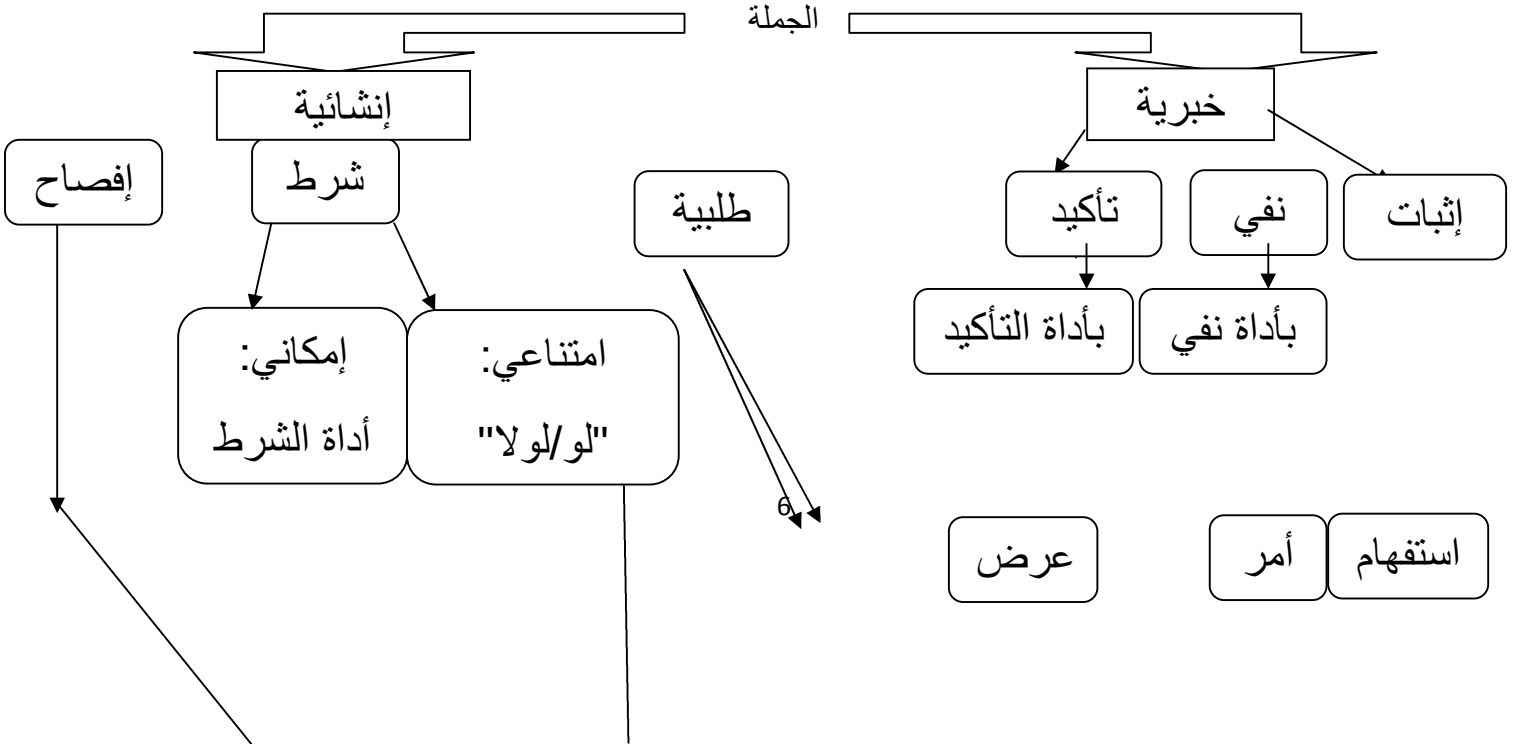

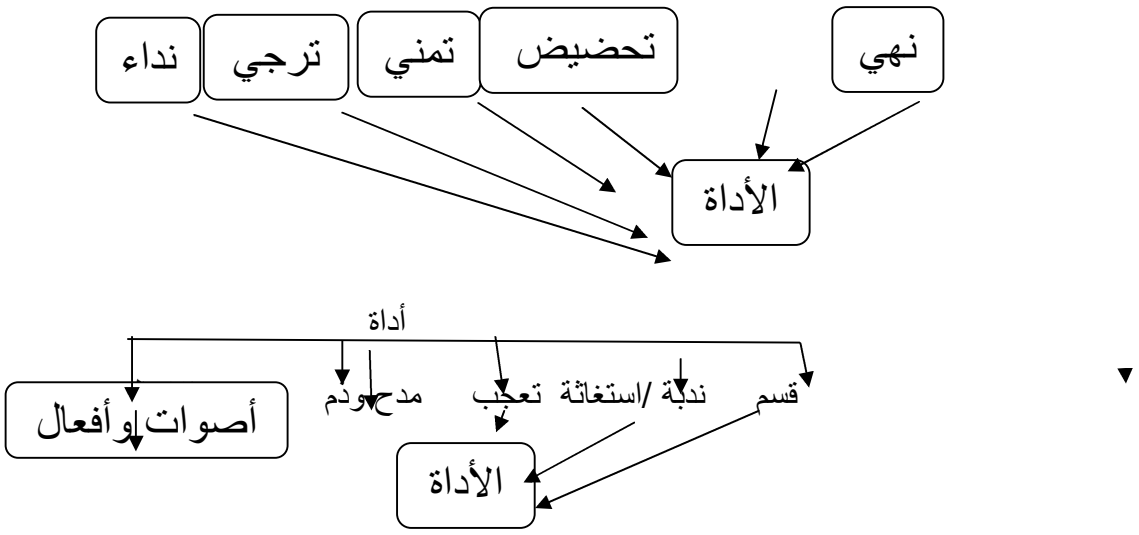

التحليل:

الأدوات النحوية هنا تلخص معاني: {"النفي و التأكيد والاستفهام و العرض والتحضيض والتمني و الترجي والنداء والشرط بنوعيه : "الِامتناعي و الإمكاني"} و{"القسم، الندبة ، الاستغاثة ، التعجب"}.

والقاسم المشترك بين هذه الأدوات النحوية جميعها هو دلالتها على معنى وظيفي عام هو: "التعليق" ثم اختصاص كل طائفة منها تحت هذا العنوان العام بوظيفة خاصة مثل:{النفي، التأكيد والاستفهام وهلم جرا}.

فتكون الأداة النحوية العنصر الرابط بين أجزاء الجملة كلها حتى أنه يمكن للأداة عند حذف الجملة أن تؤدي المعنى كاملا كالذي نراه في العبارات مثل:{"لِمَ، عَمَّ، متى للاستفهام"}و{"لعلّ للترجي و ليت للتمني ..إلخ"}

فيكون المعنى الذي تدل عليه هذه الأدوات هو معنى الجملة كاملة وتحدده القرينة، وحين أراد النحاة أن يعبروا عمّا فهموه بوضوح من أن معاني الأدوات هي وظائفها؛ أي معناها وظيفي لا معجمي.

أما فيما يخص علم البلاغة، فالبلاغيون في قسم علم المعاني تناولوا التراكيب النحوية وهو المصطلح المتداول عندهم، أي أنهم يستعملون مصطلح التراكيب أو الأساليب التي تتركب منها الجملة[التركيب الإسنادي] فقد قسموها إلى قسمين هما : {"الخبر و الإنشاء والإسناد الخبري والإسناد الإنشائي"} معتمدين في ذلك على معنى الكلام ووقعه الخارجي.

ومن ثم نجد عندهم مصطلح الأسلوب الخبري و الأسلوب الإنشائي، ويتفرع كل قسم منها الى فروع وكل فرع إلى تفرعات.